المحاضرة السابعة:

مقاومة الشيخ بوعمامة ومقاومات شعبية أخرى

مقاومة الشيخ بوعمامة:

الشيخ بوعمامة هو محمد العربي بن الشيخ أحد أحفاد الولي الصالح الشيخ عبد القادر بن محمد والمعروف بسيدي الشيخ، لقب ببوعمامة ولزمته هذه التسمية طيلة حياته كونه يضع عمامة على رأسه، ودخل بوعمامة التاريخ من بابه الواسع واشتهر حتى بلغت شهرته الأصقاع والآفاق مشرقا ومغربا، لأنه أشرف على مقاومة كادت أن تعم الغرب الجزائري بأكمله، بل لأنه أدرك بالبديهية الصائبة والرأي الراجح الدور الذي يجب أن تلعبه الزاوية الروحية.(1)

أعلن الشيخ بوعمامة الثورة على الاحتلال الفرنسي سنة 1881م بعدما كسب تأييد مجموعة كبيرة من القبائل وانضمت إليه العديد من الطوائف، وبالتالي ذاع صيته وبلغ مكانة كبيرة في وسطه ماجعل المستعمر الفرنسي يحيك له المكائد من خلال زرع الفتنة بين القبائل وأبناء العمومة، واستخدم سياسة الإغراء بالمال والجاه وزرع الحقد والاقتتال بين أبناء المنطقة الواحدة.

مراحل مقاومة الشيخ بوعمامة:

مرت مقاومة الشيخ بوعمامة بمرحلتين أساسيتين عرفت الأولى بالمرحلة العسكرية والتي كان خلالها يحشد الجيوش ويقوم بمواجهات عسكرية ضد الاستعمار الفرنسي، أما المرحلة الثانية فكانت مرحلة سياسية بحتة اعتمد خلالها الشيخ بوعمامة على إبرام اتفاقيات وتحالفات مع عدة قبائل وفيما يلي تفصيل لذلك:

المرحلة العسكرية(1881-1883):

عرفت هذه المرحلة صدامات والتحامات مباشرة بين الجيش الفرنسي وقوات الشيخ بوعمامة التي التحقت به من مختلف القبائل لمحاربة المستعمر والتي بلغ عددها 2300 مجاهدين في ظرف وجيز، واغتنم الشيخ بوعمامة فرصة انشغال الجانب الفرنسي في المشاركة في حملة احتلال القطر التونسي سنة 1881م وأعلن الجهاد وبداية العمليات العسكرية وكانت أول معركة بين الجانبين في 27 أفريل 1881م

في منطقة سفيسيفة، حقق خلالها الشيخ بوعمامة النصر على حساب الجيش الفرنسي، وبعد هذه الهزيمة سارع هذا الأخير في تنظيم صفوفه لمواجهة الشيخ بوعمامة ووقعت بينهما معركة مولاق في 19 ماي 1881م،والتي عاد فيها الانتصار للجيش الفرنسي.

وبالتالي تعتبر هذه المرحلة من المقاومة من أهم مراحلها فهي بالتأكيد في صالح بوعمامة على الصعيدين الشعبي والعسكري، فعلى الصعيد الأول تمكن بوعمامة من كسب ثقة بعض القبائل وجرها إلى العصيان والثورة، وعلى الصعيد الثاني من خلال مسيرته التي دوخ بها القادة العسكريين، حتى أن البعض منهم كان يتجنب مجابهته وتعرض سبيله.(2)

المرحلة السياسية(1883-1908):

تميزت هذه المرحلة بالفتور حيث استقر فيها الشيخ بوعمامة في منطقة الحمام الفوقاني المغربية وهي مسقط رأسه محاولا تنظيم صفوفه هناك، إلا أن الجانب الفرنسي لم يرتح لمكوثه هناك وطالب السلطات المغربية بطرد الشيخ من أراضيها باعتباره يشكل تهديد لمصالح فرنسا بالمنطقة، وفي ظل هذه الظروف انتقل الشيخ بوعمامة إلى منطقة دلدول والتجأ إليها وعمل فيها على نشر الطريقة الشيخية وتنظيم حلقات ودروسا دينية ليكسب مناصرين جدد يتضمون إلى مساره الجهادي.وتوفي الشيخ بوعمامة في 7 أكتوبر 1908م بعدما قضى حوالي عشرين سنة في مقاومة الاستعمار الفرنسي، وتعتبر هذه المقاومة من أطول المقاومات التي عرفها التاريخ الجزائري .

مقاومات شعبية أخرى:

- مقاومة لالة فاطمة نسومر:

لالة فاطمة نسومر هي واحدة من أبرز الشخصيات النسائية في تاريخ الجزائر، وقد لعبت دورا بارزا في مقاومة الاستعمار الفرنسي، ولدت في منطقة القبائل حوالي سنة 1830م وكانت تنتمي إلى عائلة عريقة تتبع الطريقة الرحمانية، أعلنت الحرب ضد الاستعمار الفرنسي وهي بعمر العشرين سنة 1850م وانضمت في مقاومتها إلى الشيخ بوبغلة، وقعت في الأسر سنة 1857م وسجنت بمدينة المدية لمدة سبع سنوات ووافتها المنية سنة 1863م.

وتمثل دورها في المقاومة من خلال قيادتها للمقاومة وتبنيها للعديد من الثورات في منطقة القبائل، واستطاعت جذب الدعم من القبائل المحلية ما ساعد في تعزيز قوة المقاومة.

- مقاومة الشيخ المقراني:

تعد مقاومة الشيخ المقراني من أقوى وأعنف الثورات الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي، وشملت مناطق واسعة من التراب الجزائري خاصة المناطق الشرقية والوسطى، الشيخ المقراني هو أحد القادة البارزين في مقاومة الاستعمار الفرنسي ولد بمنطقة القبائل، ومع بداية الاستعمار الفرنسي للجزائر عام 1830م بدأت تظهر حركات مقاومات شعبية لمواجهة الاستعمار، وكان الشيخ المقراني واحدا من أبرز القادة آنذاك، وتمثل دور المقراني في المقاومة في تولي قيادة المقاومة في منطقة القبائل حيث قاد ثورة ضد الاستعمار الفرنسي سنة 1871م، واستخدم أسلوب حرب العصابات ماصعب على المستعمر قمع هذة الثورة.

وعلى الرغم من المقاومة الشديدة تم القبض على الشيخ المقراني في عام 1871م وأعدم لاحقا، لكن إرثه في النضال ضد الاستعمار ظل حيا واعتبر رمزا من رموز المقاومة الجزائرية.

- مقاومة الزعاطشة:

مقاومة الزعاطشة هي واحدة من أبرز الحركات الثورية ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر وقد وقعت أحداثها في منطقة الزعاطشة المعروفة اليوم ببلدية الزعاطشة في ولاية المسيلة في الفترة مابين 1849-1857، فبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م بدأت فرنسا في توسيع سيطرتها على الأراضي الجزائر، مما أدى إلى إندلاع مقاومات محلية كانت الزعاطشة واحدة من المناطق التي شهدت مقاومة شديدة.

وبدأت هذه المقاومة بقيادة مجموعة من القادة المحليين حيث نظموا هجمات ضد الاستعمار الفرنسي وكان من ابرز قادتها الشيخ علي بن العربي الذي لعب دورا محوريا في توحيد القبائل المحلية، واستخدم خلاله أساليب حرب العصابات والتكتيكات الحركية للحد من حركية وتقدم الجيش الفرنسي، وعلى الرغم من المقاومة الشرسة تمكنت القوات الفرنسية من قمع الثورة سنة 1857م، ومع ذلك تركت مقاومة الزعاطشة أثرا كبيرا في الذاكرة الجماعية للجزائريين.